تحليل المركبات التعجبية في الأنموذج النحوي التراثي

أ- كادة ليلى
قسم الأدب العربي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة محمد خيضر بسكرة

تبدأ قصة التعجب في النحو العربي بحكاية طريفة مؤدّاها أن ابنة أبى الأسود الدؤلي رفعت رأسها إلى السماء في إحدى ليالي الصيف الهادئة، فأبهرها صفاؤها وتلألؤ نجومها فقالت لأبيها: يا أبت ما أحسنُ السماءْ! (برفع أحسن) فقال: أيْ بنية نجومُها، ظنًّا منه أنها تستفهم عن أحسن ما في السماء، فاستنكرت جواب والدها، فقالت: إني لم أرد أيّ شيء منها أحسن، وإنما تعجبت من حسنها، فقال لها: إذن فقولي ما أحسنَ السماءْ! (بالنصب)، فحينئذ وضع كتابا[1] .

وتُروى هذه الحكاية على وجه آخر مؤداه أن أبا الأسود دخل على ابنته بالبصرة في يوم شديد الحرِّ فقالت له: يا أبت ما أشدُّ الحرّ! (بالرفع) وهي تريد التعجب، فظنّها تستفهم منه أيّ زمان الحرّ أشد، فقال لها: شهر ناجر يريد صفر، فقالت: يا أبت إنما أخبرتك ولم أسألك، فأتى أمير المؤمنين عليّا بن أبي طالب فأخبره خبر ابنته فأمره فاشترى صحفا بدرهم وأملى عليه[2].

يَروي المؤرخون هاتين الحكايتين وما شاكلهما في موضوع نشأة النحو، ومما يُروى أيضا أنّ أول باب وضع في علم النحو باب التعجب، فعن أبي حرب ابن أبي الأسود الدؤلي قال:((أول باب وضعه أبي من النحو باب التعجب)).[3]

فلا عجب إذن أن كان موضوع التعجب من أشد موضوعات النحو أهمية، وأولاها بالنظر، وأحقها بالاهتمام فهو: ((نتيجة طبيعية لما يخالج النفس من انفعالات وأحاسيس إذا بهرها مشهد رائع أو هز أغوارها خبر فاجع، فهو ينتج عن المفاجآت و الغفلات ووقوع العين على ما يخالف العادة أو يفوق التصور)).[4]

وبهذا يتفرد التعجب عن بقية أبواب النحو الأخرى بكونه أقرب إلى لغة الإنسان الأول، وإلى طبيعته وأحاسيسه، فليس من شرائطه أن يكون صيغا وأبنية قياسية فحسب، بل الأصل فيه أن يكون أصواتا خاطفة تعبر عن دهشة النفس، وغريب ما يقع عليه الحسّ.

فلا عجبَ إن كان التعجب أوّل الأبواب النحوية التي استلفتت أنظار النحاة، فوضعوا بابه، وسعوا الى كشف أسراره، ورفع أستاره، إلا أن حظهم من ذلك كله كان ضعيفا،لم يقو على النفاذ إلى معانيه ودلالاته، وسبر أغواره،و استكناه وظيفته، فما استطاعوا إلى الظفر بهذه المطالب سبيلا؛ لأنهم وقفوا أنفسَهم على الاشتغال بجوانبه الإعرابية، ((ولم يغوصوا في أعماقه تحليلا وتشريحا، فبقي على ما هو عليه مجموعة من النظرات النحوية البحتة والآراء الجافة التي تعتمد المنطق النحوي الصلد، وتتكئ على علله وتقديراته))[5]، مجتزئين إيّاه بذكر صيغتيه القياسيتين، وقصر النظر عليهما، وإفراد العناية لهما من الناحية الإعرابية، مع أن بابه في حقيقة أمره أوسع من أن يحيط به ما ذكروه؛ لانتشاره وانتشاره بين أبواب شتىّ من النحو، كالنداء، والاستفهام، وغيرهما غفلوا عن رصد القيمة الانفعالية فيها ليتمّ استلحاقها ببابه. وقد اعتلّوا لهذا الاقتصار والإيثار بعلة واهية، وهي: أنّ الصيغ الأُخَر التي لا تنضبط بقياس ليس لها أن تدل على التعجب بالوضع نصّا، وإنما تدل عليه ضمنا بالقرينة[6]؛ لأنّ لها أن تفيد معانيَ إضافيةً سوى التعجب الدالة عليه دلالة الطُّروء، كأنما خفي عليهم أن التركيب بعيدا عن ملابسات القول عادة ما لا يَتَمَحَّضُ معناه، ولا تتفتَّق دلالته، ولا تترجّح لتعدد وجوه احتمالات المعنى بلا مرجّح. فقد شغلوا عن درك مبدأ تعدد المعنى الوظيفي للمبنى المفرد أو المركب الواحد؛ وذلك تبعا لاختلاف الظروف التي تنصهر في بوتقتها العبارة، فتُمَحِّضُ معناها، وتُحقِّقُ وظيفتها، وتُعَيِّنُ ضربها الخطابي على وجه الدقة الذي لا إلباسَ فيه.

فلم يَلِمَّ النحاة أشتاتَ موضوع التعجب، ولم يحاولوا استنطاق جميع مبانيه بجامع من الوظيفة التعبيرية التعجبية؛ لأنهم كانوا أُسارى نزعة شكلية وجّهت عنايتهم في المقام الأول إلى رصد الأشكال لا الوظائف، فلم يجعلوا المبنى خدما للمعنى، وإنما اتْبَعوا المعنى المبنى، وشتّان ما بين التابع والمتبوع !.

والغريب أن يمضيَ البلاغيون – وهم أحرى الناس بتتبّع وظائف الخطاب– في دراساتهم على طريقة النحويين، فلا يقيمون وزنا لأسلوب التعجب إلا لماما، حيث لم يفردوه بالدراسة والتقصّي، فأوشكوا أن يضيعوا معناه، ويهملوا مبناه لولا بعض الإلماحات القاصرة

عن الوفاء بمطالبه في مواطن يسيرة بوصفه أحد المعاني التي يفيدها تقديم المسند على المسند إليه، أو التي تخرج إليها أدوات الاستفهام.[7]

هكذا يظل موضوع التعجب بكرا بحاجة إلى الدراسة التي تساق للكشف عن القيمة الانفعالية المخبوءة فيه، والتي من شأنها أن تمَيزه عن أضرب الخطاب الأخرى. ومثل هذا المطلب يَتكفَّلُ به هذا المقال على التدريج ومن خلال استنطاق الأبنية القرآنية على وجه الخصوص.

التعجب على أوضاع اللغويين:

للتعجب على أوضاع اللغة طيف لطيف من المعاني اللغوية مسوقٍ فيما يلي:

- **الانفعال:** فحسب التعجب أنه ((انفعال النفس عمّا خفي سببه ويستعمل على وجهين: أحدها ما يحمده الفاعل ومعناه الاستحسان والإخبار عن رضاه به، والثاني: ما يُكره، وهو الإنكار والذم له، ففي الاستحسان يقال: أعجبني بالألف وفي الذم يقال: عجبت...))[8] .
- **الحيرة**: ورد في (تاج العروس من جواهر القاموس) أنّ التعجب ((حيرة تعرض للإنسان عند جهل سبب الشيء، وليس هو سببا له في ذاته بل هو حالة بحسب الإضافة إلى من يعرف السبب ومن لا يعرفه، ولهذا قال قوم: كل شيء عجب، وقال قوم: لا شيء عجَبٌ...))[9].
- **النظر إلى شيء غير مألوف:** كأن ترى شيئا يعجبك، فتظنّ أنّك لم تر مثله قطُّ. ومنه قولهم: لله زيد! كأنما الله قد جاء به من أمر عجيب لا اعتياد فيه. ونظيره أيضا قولهم: لله درّه! كأن الله قد مازه بين نظرائه وأترابه بأن سقاه لبنا مخصوصا بالعناية.[10]
- **الإنكار** : ذلك أن التعجب ((إنكار ما يرد عليك لقلة اعتياده)).[11]
- **التفضيل والاستعظام:** جاء التعجب رديفا للتفضيل والاستعظام حيث قيل ((التعجب هو تفضيل الشيء على أضرابه، وقيل: هو استعظام صفة خرج بها المتعجَّب منه عن نظائره)).[12]
- **الزهو و الكبْر:** ((العُجْبُ: الزهو والكبر... و هو أن تنظر إلى نفسك وعملك؛ أي: تعظّم نفسك)).[13]

صفوة القول إن التعجب انفعال حيرةٍ، أو إنكار، أو تفضيل، أو استعظام، أو زهو يعتور النفس البشرية إذا ما صادفها أمر خارق غير مألوف لم تعتده من قبلُ؛ لذلك كثيرا ما تسمع الناس في حياتهم العادية يرددون عبارة: إذا ظهر السبب بطل العجب.

التعجب على أوضاع النحويين:

مصطلح التعجب جارٍ على أوضاع النحويين على ما جرى عليه لفظه عند اللغويين على نحو جلي لا خفاء به، فلا يعدو أن يكون انفعالا عند القبيلين باختلاف أغراضه، ولا مفارقةَ إلا من جهة تلبُّسِه باللغة، واكتسائه ثوب الألفاظ عند النحويين، وعدم تعلق هذا الشرط به على أوضاع اللغويين؛ إذ تتفق الطائفتان في النظر إلى مصطلح التعجب من جهة وجود أمر غريب خفيت أسباب غرابته. إلا أنه انفعال نفسي عند اللغويين حتى وإن تجرّد من لفظه، في حين يتفرد لدى النحويين بتخصيصه بنطق كلامي يدلّ على الدهشة والاستغراب، ويقصدون بذلك صيغ التعجب التي تقوى على الإفصاح عنه، ونقله من حيّز الشعور إلى حيّز النشاط الكلامي كقول القائل: ما أروعَ العِلْمَ في عصرنا!.[14]

فالتعجب على حد قول الأشموني (ت 920هـ): ((استعظام فعلِ فاعلٍ ظاهرِ المزيَّة بألفاظ كثيرة...)) [15]، إلا أن الخضري (ت1288هـ) يسوقه مساقا أخر لا أثر للاصطلاح فيه، فيحمله على محمل اللغويين دون أن يكترث بإلباسه ثوب التعبير على الإطلاق، فيمضي في تعريفه إلى أنه ((انفعال في النفس عند شعورها بما يخفى سببه...)) [16]، وكذلك يفعل الرضي في قوله: ((التعجب انفعال يعرض للنفس عند الشعور بأمر يخفى سببه)). [17]

وحريٌّ بالذكر أنّ خفاء السبب لا يتعلق بالذات الإلهية بقدر ما يتعلق بالذات البشرية؛ إذ لا تخفى عليه خافية لا في الأرض، ولا في السماء مصداقا لقوله جلَّ ثناؤه: (إنّ اللهَ لا يَخْفى عَلَيْهِ شَيْءٌ في الأَرْضِ ولَا في السَّمَاءِ)[18]، وقوله أيضا: (وما يَخْفى عَلى اللهِ مِنْ شَيْءٍ في الأَرْضِ ولَا في السَّمَاء)[19].وما ورد منه في الذكر الحكيم، نحو قوله تعالى: (فما أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ)[20] فمصروف عند المحققين من العلماء إلى المخاطبين؛ بمعنى: يجب أن يُتَعَجَّبَ من ذلك[21]، ((وإنما لا يوصف تعالى بالتعجب؛ لأنه استعظام يصحبه الجهل، وهو تعالى منزه عن ذلك، ولهذا تعبر جماعة بالتعجيب بدله؛ أي: أنه تعجيب من الله للمخاطبين))[22].

ومثلما ننفي التعجب عن المولى عزّ وجل، إذ هو من صفات البشر، لا نتعجب من صفاته تعالى قياسا، فلا يقال: ما أعْلَمَ اللهَ! وإن شذّ قول العرب: ما أعظمَ الله! وما أقدره!.[23]

فتحقيق القول إن التعجب أسلوب خطابي قائم بذاته، شأنه في ذلك شأن الأساليب الأخرى، لا يمكن حمله على غيره، ولا تجريده من وظيفته، ولا تفسيره على نحو يخرجه عن حقيقته، كأن تكون جملة (شيء أحسن زيدا) تفسيرا لجملة التعجب الإنشائية (ما أحسن زيدا!)، فحسبك بهذا خطأ أنّ الإعراب كان على تمثّل ما لم يُتكلَّم به!.[24]

صيغ التعجب وأحكامه:

إنّ الإفصاح عمّا يُساور المرء من ذهول له علوق بالنفس، و لصوق بالخاطر ليتهيأ بواسطة جملة من الأبنية والصيغ التي تجتلب لتأدية هذا الغرض، والتكفل بهذا المقصد.

وما هو بخفي أنّ هذه المباني – مفردةً كانت أو مركبةً– تتوزع على ضربين: أولهما–وهو المبوَّب له في كتب النحو– خاضع إلى القياس، ومتميّزٌ بمحدودية صيغه، وتمحضه للدلالة على التعجب. وثانيهما –وهو المنتشر المنتثر– يرتد إلى مبدأ السماع، ولا ينضبط بأحكام نحوية قياسية تقوى على استخلاصه لتحمل وظيفة الانفعال التعجبي، وترشيحه لها دون شراكة أو تعدد، وهو أبعد من أن يحصى، وأجلّ من أن يتُجاوز أوينسى. فالأوجب أن تتوجه إليه العناية، وأن تُسبغ عليه الرعاية بطريقة وافية بجمع أشتاته، ولمّ عباراته ما انقاس منها، وما لم ينقس على نحو ما يرد:

صيغتا التعجب القياسيتان:

وهما الأولى بالنظر عند من تقدم من النحويين أو تأخر، وليس لهما إلا هذا التمظهر:

1.ما أفعلَه: وهي صيغة التعجب القياسية الأساسية التي يكثر دورانها في العربية[25]، نحو قول الشاعر[26]:

ما أكرمَ الأنْصارَ والصَّحْب الأُلى حُرِموا، فَمِن صَبْرٍ ومِنْ إغْضاءِ

وهذه الصيغة عبارة عن مركب تام، ساقه النحويون عن بكرة أبيهم على سبيل التركيب الإسنادي، واختلفوا في توصيف مكوناته، وتوجيهها إعرابيا اختلافا يكدّ له الذهن، ويرشح له الجبين، ولا يأمن الناظر فيه من العثرة والانزلاق. فقد كان ولا يزال مدار خلاف

واسع عميق بين الدارسين، حيث كثر فيه الحجاج واللجاج بين البصريين والكوفيين، بل بين أقطاب المدرستين على ما يظهر ويبين:

1.1.ما التعجبية: وقد زيدت في التعجب دون غيرها؛ لأنها تفيد الإبهام، وهو باعث من بواعث التعجب، فكلّما كان الشيء مبهما مستغلقا كان أعظم أثرا في النفوس[27]، فحسبها أنها تجسيد لشيء مجهول يوحي بالعظمة، وينبئ بالتهويل، فحُقَّ لها أن تقع في موضع الابتداء، وأن تكون لها الصدارة بفضل ما فيها من ((إغراق في الإبهام وإيغال في التنكير والاستغلاق. هذه المميزات تجعلها مثالا للتقديرات المعنوية والتصورات الذهنية، مما يقربها من المعرفة ويمنحها حق الوقوع في موقع المبتدأ وتأدية دلالاته وتحمل التزاماته ومهامه)) [28]. وقد أهلها هذا كلّه إلى أن تتربع على عرش التعجب، وتتسنّم مكانها في تركيبه.

أضف إلى ذلك ما تمتاز به من سمة صوتية تتناسب طرديًّا مع التعبير عن أدقِّ الخلجات، وأعمق الانفعالات، وهي ألف المدّ التي تمكِّن الصوتَ من أن ينطلق على مداه، وينفسح على قدر طاقاته، شأنُها في ذلك شأنُ واو الندبة مما يجري به النَفَس إلى غايته، ويندفع إلى نهايته. ومع جريانه واندفاعه تنطلق انفعالات المتعَجِّب من عِقالِها بقوة لا خَوَرَ فيها.

وقد حاول بعض الدارسين أن يتأوّل أصلَ اشتقاقها على أنّها مُجتزأةٌ من (أمّاه)، ومقتطعة منه؛ بحجة أنّ الإنسان يلوذ بأمه حين الخوف والفزع، ومنه لا يكون بعيدا جريانها على هذا الاشتقاق مع بعض التهذيب والتطوير[29]. ولا شكّ أنّ هذا اعتلال ضعيف ليس من شأنه أن ينهض دليلا ساطعا قاطعا لا مردّ له. فهو أقرب إلى الظنّ الذي لا يغني عن الحقّ فتيلا.

1.1.1.توجيهها الإعرابي: اختلف النحاة في (ما) التعجبية شديد الاختلاف، وتضاربت آراؤهم واضطربت، فهي لديهم حمّالة أوجه تساق لها الأسانيد والحجج:

الوجه الأول: أن تكون نكرة تامة بمعنى (شيء)، والجملة بعدها في موضع خبر؛ وآية ذلك قول سيبويه: ((زعم الخليل أنه بمنزلة قولك: شيء أحسنَ عبدَ الله، ودخله معنى التعجب. وهذا تمثيل ولم يُتكلَّم به)) [30]، وعليه أغلب البصريين[31].

الوجه الثاني: أن تكون معرفة ناقصة بمعنى الذي، وما بعدها صلة فلا موضع له، وعليه الأخفش من البصريين[32].

الوجه الثالث: أن تكون نكرة ناقصة، وما بعدها في محل رفع صفة على أن الخبر محذوف، وعليه الأخفش أيضا.[33]

الوجه الرابع: أن تكون استفهامية في محل رفع مبتدأ، والجملة في محل رفع خبر، على أن معنى: ما أحسن زيدا! ما فائق في الحسن زيدا؟ وعليه جمهور الكوفيين[34].

2.1.أفعل التعجب: إنها صيغة تعقب (ما) التعجبية على الموالاة والفور[35]؛ لتتكفل برفع الإلباس عنها، ودفع التعمية التي تساور بنيتها، فهي الإفهام بعد الإبهام على حد تعبير خالد الأزهري[36]. وقد أجاد جميل علوش تصوير ذلك بعبارات أدلَّ على القصد، وأجلى للمراد، حيث يقول: ((فكأنّ (ما) صوت العاطفة و(أفعل) صوت العقل أوكأن (ما) هي اللغز و(أفعل) هي حله. فالأداء النغمي الذي يبلغ ذروته في مطلع الجملة ينخفض قليلا حتى ينتهي ويزول، وهو إنما يرتفع وينخفض تبعا لمدى اندفاع العاطفة وانجذابها أو لامتدادها وانحسارها. فكأنها اللجة يكون لها قمة وقاع وظهر وبطن. وقوة النغمة في الجملة التعجبية تتناسب طرْدِيًّا مع مدى الإبهام الذي تشتمل عليه. ولا شك أن ذروة هذا الإبهام تتمثل في (ما) التي هي روح الجملة التعجبية وقلبها الخافق. أما (أفعل) فهي بيانها ولسانها الناطق)) [37].

وقد اختلف النحويون بشأن أفعل التعجب أيما اختلاف، فتمسك البصريون وعلي ابن حمزة الكسائي من الكوفيين بفعليته، وذهب الكوفيون إلى اسميته [38]، وساق كل فريق من هؤلاء حججا وأسانيد.

أما البصريون فقد استدلوا على صحة ما ذهبوا إليه بأوجه:

1. وصله بياء الضمير سبيله أن يُدخل نون الوقاية عليه، وهي خصيصة لا تلحق إلا الأفعال، نحو: ما أحسنني عندك! وما أظرفني في علمك! وما أعلمني في ظنك!.[39]

2. الدليل على فعليته نصبُه المعارف والنكرات، و(أفعل) إذا كان اسما لا ينصب إلا النكرات على التمييز، نحو: أنا أكثر منك مالا وأعظم نفرا. [40]

3. الدليل على فعليته انفتاح آخره، فلو كان اسما لوجب رفعه لوقوعه خبرا لـ (ما) بالإجماع، ولم يكن لانبنائه على الفتح وجه بأية حال.[41]

أما الكوفيون فاحتجوا لاسمية أفعل التعجب من جهات ثلاث:[42]

1. الجمود وعدم التصرف؛ إذ التصرف من سمات الأفعال.
2. دخول التصغير عليه، نحو: ما أُمَيْلِحَ غِزْلانا!.
3. صحة عينه وعدم اعتلالها نحو: ما أقوَمَه! وما أبْيَعَه!.

لقد كانت هذه النقاط مجال أخذ ورد بين الفريقين، وقد استنفدت الكثير من جهدهم الفكري دون طائل، وامتدّ هذا الجدل قرونا فيما بعد، فانقسم النحويون إلى مؤيد للبصريين، ونصير للكوفيين، إلاّ أنّ منهم من حاول جهد طاقته أن يقف على حجج الفريقين؛ ليتبين الغث منها والسمين كابن الأنباري(ت577هـ) في مؤلفه(الإنصاف في مسائل الخلاف)[43]، لكنه ما فتئ يميل إلى البصريين، فيكون لهم ظهيرا.

2.أفعل بـه: أجمع النحويون عن بكرة أبيهم على فعلية هذه الصيغة، ثم اختلفوا[44]: فقال البصريون: لفظها لفظ الأمر ومعناها الخبر، على أن الأصل فيها أَفعَلَ، ثم غيرت الصيغة، فقَبُحَ إسناد صيغة الأمر إلى الاسم الظاهر، فزيدت في الفاعل الباء؛ ليصير على صورة المفعول به. وقال الفراء والزجاج(ت310هـ) والزمخشري، وابن كيسان(ت299هـ) وابن خروف (ت590هـ): لفظها ومعناها الأمر، على أن فيها ضميرا، والباء للتعدية، واختلفوا بخصوص الجار، فمضى ابن كيسان إلى أنه ضمير للحسن، وقال غيره: للمخاطب.

وقد اختلف هؤلاء أيضا بشأن الضمير المقدر في فعل الأمر إلى طائفتين، لكل حججها وأدلتها؛ ترى الطائفة الأولى أنّ الضمير راجع إلى المخاطب المستدعَى منه التعجب، وترى الثانية رجوعه إلى الصفة المتعجَّب منها[45].

1.2.توجيهها الإعرابي: المتداول في إعراب هذه الصيغة ما يتناقله الدارسون عصرا بعد عصر من أن (أفعل): فعل ماض جاء على صورة الأمر لإنشاء التعجب، والباء حرف جرّ زائد، والضمير: فاعل مجرور لفظا مرفوع محلا، أو: فاعل مجرور وعلامة جرّه الضمة المقدرة منع ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجرّ الزائد.[46]

والكوفيون بعامة على أنه أمر لفظا ومعنى، وفيه كناية خطاب، وإنما التزم إفراده لجريانه مجرى الأمثال، والباء للتعدية، والكناية مفعول جائز حذفُه [47].

ومن عجيب تخريجاتهم جعل الأمر دالا دلالة ماضوية؛ فهذه دعوى لا يقوم عليها دليل، وليس إلى ذلك سبيل، إلا وهو ظاهر الفساد والتعليل، للأسباب التالية:[48]

1. لم يستعمل الأمر بمعنى الماضي قطُّ، فالمعهود خلافه، نحو: مات فلان (رحمه الله) على سبيل الدعاء له.

2. كيف تكون أفعل به فعلا ماضيا مع أن للتعجب صيغا ماضوية أخرى كـ: فَعُلَ[49] وأفعلَ بغير (ما)؟[50]! فلو كان الغرض أن تدلّ صيغة (أفعل به) على الماضي لاستغني بها عن الصيغتين الماضيتين المذكورتين، أو لاستُغنيَ عنها بهما.

صيغتا التعجب في ضوء النظر اللغوي:

الأولى أن يعاد النظر من جديد في تحديد البنيتين: الصرفية والوظيفية لصيغتي التعجب القياسيتين بما من شأنه أن يحقق مطالب هذا الأسلوب الفريد من نوعه، والذي لا ينبغي أن يحمل على غيره بطريقة فيها كثير من التمحّل والشطط. فمن حيث البنية الصرفية لا يكون وجيها صرفُ الصيغتين إلى إشكال الاسمية والفعلية. فما درج عليه النحويون قديما من خصومة وجدال بشأنهما لا مسوِّغَ له على الإطلاق. فكان حقيقا بهؤلاء جميعا أَلا يبقوا أسرى للقسمة التقليدية الثلاثية التي أرهقتهم من أمرهم عسرا في جدال نحوي لا طائل من ورائه. فعليهم أن ينفلتوا من أسرها، ويرفعوا عنهم إصرها.

فالملاحظ أنهم ضيّقوا على أنفسهم الخناق حينما رسموا لهاتين الصيغتين طريقين لا غير، وألزموا أنفسهم بعدم مفارقتهما. فهل كان حتما مقضيا أن تظل هاتان الصيغتان تتأرجحان بين الأسماء والأفعال؟! أما من سبيل آخر أدعى إلى الدقة؟

الواقع أنّ من المحدثين من استطاع أن ينفذ بعمق إلى جوهر المشكلة؛ لييسّر عقبتها الكأداء من خلال الاجتهاد في فهم بنية أمثال هذه الصيغ. فقد أخرج تمام حسان[51] وتلميذه فاضل مصطفى الساقي[52] -وهما محقّانِ-هاتين الصيغتين من الإشكال المفتعل إلى دائرة الخوالف التي تنهض قسما مستقلا من أقسام الكلم العربي السباعية. فاحتفاظ هاتين الصيغتين ببعض علامات الأفعال، وبعض علامات الأسماء لدليل قاطع ساطع على أنهما يندرجان ضمن قسم خاص ينبغي أن يفرد بالعناية.

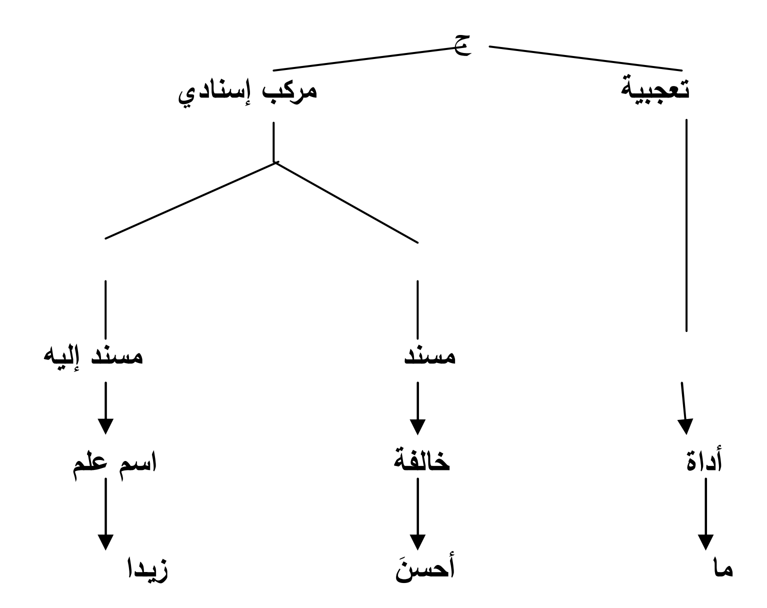
هذا، ولا يحسن من حيث البنية الوظيفية حمل هاتين الصيغتين على محمل التمثيل الذي لم يُتكلَّم به، فحسبهما أنهما تركيبان إسناديان يكون حريّا أن تُجْرىَ لهما الأحكام على هذا الوجه، لكن دون عسف في التخريج، أو شطط في التأويل. فهذا منطق تتأبّاه بنية الجملة التعجبية. وأمّا إكراهها عليه فمسلك في غاية الفساد يفضي إلى البلبلة والاضطراب.

وبالفعل قد اضطرب النحويون شديد الاضطراب حينما ساقوا لهذا الأسلوب أحكاما لا تنسجم مع بنيته، ولا تكشف أسرار عبارته، ولا تفصح عن طاقته التعبيرية، فلوَوْا عنقه كرها لما اهتموا بتوجيهه إعرابيا على نحو قاصر عن الوفاء بمطالبه الوظيفية التي هي أحرى بأن تستلفت أنظار الدارسين، وأن تقع موقعا حسنا من حيزّ اهتمامهم؛ ولعل الذي ساقهم هذا المساق إعظامهم شأن العلامة الإعرابية في الهدي إلى تحديد معاني النحو؛ إذ أنزلوها منزلة عظمى أنستهم أنها لا تزيد عن كونها مجرد قرينة واحدة من قرائن النحو اللفظية والمعنوية، فلا مجال للتعويل عليها بمفردها في سبيل الاهتداء إلى درك الوظيفة التي تشغلها الكلمة في سياق متماسك. فلا مندوحة إذن عن الأخذ بمبدأ تضافر قرائن النحو.

أفلا يكون أولى أن ننطلق من أن هاتين الصيغتين داخلتان في جدول إسنادي، ولكن بطريقة جديدة توجب لهما أوجها وظيفية تختلف عن المعاني الوظيفية التي جرى عليها العرف. فلا فاعلية ولا مفعولية تتعلق بهاتين الصيغتين إلا على سبيل الاستكراه. فالأقوم أن يحلَّلَ تركيب التعجب القياسي وظيفيا في نحو: ما أحسن زيدا! كما يلي، وقد اختاره عبد الجبار توامة [53]:

الكلمة	إعرابها
ما	أداة تعجب.
أحسنَ	خالفة تعجب مسند.
زيدا	المتعجب منه مسند إليه منصوب.

ويمكن سوق هذا التحليل وفق المشجر التالي وصولا إلى الوحدات المرفولوجية الدنيا:



فالملاحظ أنّ هذا التركيب قائم على أساس من إسناد الحسن إلى زيد على سبيل إنشاء التعجب، ولا اعتداد بحركة المسند إليه البتة؛ إذ تتعدد وجوهها الإعرابية من: رفع، ونصب، وجرّ باختلاف سياقاته اللغوية.

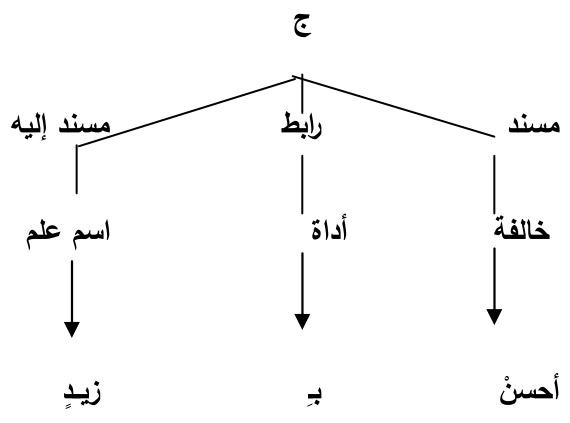
ودليل كون المتعجب منه مسندا أنّ أبا العباس المبرد (ت285هـ)ذكر أنّ المتعجب منه يجب أن يكون معرفة أونكرة مخصصة. ففي نحو قولك: ما أحسن زيدا ورجلا معه! ((فلولا قولك (معه) لم يكن للكلام معنى. وذلك أنك إذا قلت: ما أحسن رجلا. فليس هذا ممّا يفيد به السامع شيئا؛ لأنه لا يُستنكرُ أن يكون في الناس من هو كذا كثير))[54]، وفيه إشارة واضحة إلى مفهوم الفائدة الذي هو من أظهر ميزات الإسناد.

وإحساس بعض النحويين بكون المتعجب شاغلا وظيفة المسند إليه تكاد تفصح عنه عباراتهم تلويحا لا تصريحا، فهذا أبوحيان يقول: ((والمتعجب منه مخبر عنه في المعنى، فلا يكون إلاّ معرفة أو نكرة مختصة)) [55]، وشبيه به عبد القاهر الجرجاني حينما فسّر تركيب التعجب بـ: أعجبني الشيء.[56]

وقد يكون وجيها تحليل تركيب التعجب وظيفيا في نحو: أحسن بزيد! كما يلي:

الكلمـة	إعرابها
أحسنْ	خالفة التعجب مسند.
بِ	أداة ربط.
زيدٍ	المتعجب منه مسند إليه مجرور.

ويتم سوقه في المشجر التالي:



ويؤيد هذا التوجيه أنّ البصريين عبّروا عن صيغة (أفعلْ) بما يشبهه، فقالوا: ((لفظه لفظ الأمر ومعناه الخبر، وهو في الأصل فعل ماض على صيغة أفعَلَ...ثمّ غُيِّرت الصيغة، فقبُح إسناد صيغة الأمر إلى الاسم الظاهر، فزيدت الباء في الفاعل؛ ليصير على صورة المفعول به، كـ(امرر بزيد))) .[57]

فمثل هذا التخريج لصيغتي التعجب القياسيتين أرعى للوظيفة النحوية، وأوصل بها، يكون حريا التزامه، ما لم يقطع الدليل بفساده، فاليسرُ كلُّ اليُسر في الأخذ به، بعيدا عن تعقيدات النحويين، وما أقحموه في الدرس النحوي من تأويلات وتقديرات ترهق الدارسين، وتنال من طاقتهم الفكرية التحصيلية لقواعد النحو العربي.

فهذا الإعراب أيسر وأوضح، وهو إلى عقول ناشئة المتعلمين أقرب؛ إذ لا عَنَتَ فيه ولا تكلف. أما ما مضى عليه أسلافنا، ونمضي عليه في مقرراتنا المدرسية يوما بعد يوم، فمسلك وعرٌ ملتويا يأمن فيه الطالب من العثرة والانزلاق، وقد أحسَّ بوعورة مسلكه طائفة من الباحثين المتخصصين في الدراسات اللغوية، فطفقوا ينفرون منه، ويدعون إلى معالجته معالجة مستقلة تقوى على النفاذ إلى جوهره واستكناه حقيقته؛ كي تتهيأ النفوس لقبوله بقبول حسن. يقول نديم دمشقية في هذا الصدد: ((...وأنَّ الخطب كان أهون وأيسر لو اعتُبِرَتْ

صيغة التعجب قائمة بذاتها، ونُظِر إليها على أنها تنسب إلى دائرة اللغة الانفعالية ولا تمت لا هي ولا أختها (ما أفعله) إلى الصيغ الفعلية بصلة))[58] .

وفي الصدد نفسه يقول محمد المنجي الصيادي: ((والعبارات الدالة على التعجب... تندرج ضمن لغة الوجدان التي يعبر بها المتكلم عن أحاسيسه، وهي لا تخضع لقواعد الإعراب كأفعال التعجب، كما أنها لا تخضع للتعدي بل ينبغي مقارنتها بأفعل التفضيل، ولاسيما أنّ جملة التعجب تستخدم وزن (أفعل به) و(ما أفعله)وهما من الأوزان التي لا تنظَمُّ إلى الأفعال أو الصفات...))[59].

وفي السياق نفسه يقول محمد خان: ((...فهذه تندرج في لغة الوجدان التي يعبّر بها المتكلم عن أحاسيسه فتؤدي وظيفة إبلاغية سريعة تتجاوز قواعد الإعراب المعهودة، ولعلها لم تتقيد به أبدا...والمؤسف أنّ الإعراب كان على تمثُّل ما لم يُتكلَّمْ به))[60] .

فليس بعد هذا الإحساس بصعوبة الطريق والتواء المسلك إلا مفارقة أحكام المنهج النحوي التقليدي في معالجة أسلوب التعجب ورصد طاقته التعبيرية الانفعالية.

أحكام التعجب القياسي:

1.شروط صياغتـه: من الجدير بالملاحظة أن خالفة التعجب منقولة عن (أفعل) التفضيل، فبينهما قربى لا تخفى على ذي نظر. يقول تمام حسان: ((فلا جرم أننا نزعم هنا أن صيغة التعجب هي صيغة التفضيل منقولة إلى معنى جديد في تركيب جديد... ولكن هذه الصيغة في تركيبها الجديد أصبحت مسكوكة لا تقبل الدخول في جدول إسنادي كما تدخل الأفعال، ولا في جدول تصريفي كما تدخل الأفعال والصفات، ولا في جدول إلصاقي كما يدخل هذان ومعهما الأسماء)).[61]

ومن ثمة فإن الشروط المطلوبة في (أفعل) التفضيل هي ذاتها المطلوبة في (أفعل) التعجب، وقد انتبه النحويون إلى ذلك مع أنهم لم يتلمّسوا وجه الصلة الذي لا خفاء به بين الصيغتين. يقول ابن مالك (ت 672هـ) في شان أفعل التفضيل[62] :

صُغْ مِنْ مَصوغٍ مِنْهُ للتَّعَجُّبِ أفعلَ للتفضيلِ وأْبَ اللَّذْ أُبي

وما بهِ إلى تعجُّبٍ وُصِلْ لمانعٍ به إلى التفضيلِ صِلْ

ومن ذلك أيضا قول ابن هشام: ((إنما يصاغ أفعل التفضيل مما يصاغ منه فعلا التعجب))[63]. ونظيره قول الأشموني: ((صُغ من كل مصوغ منه للتعجب اسما موازنا أفعل للتفضيل قياسا مطّردا))[64] .

ويجري عباس حسن من المحدثين على المنوال نفسه، فينص على أنّ أفعل التفضيل يصاغ من مصدر الفعل الذي يراد التفضيل في معناه بشرط استيفاء كل شروط التعجب[65].

وشروط أفعل التفضيل التي تنسحب على أفعل التعجب هي أن يكون الفعل المصوغ من مصدره ((ثلاثيا، متصرفا، تاما، غير منفي، قابلا معناه للتفاوت، ليس الوصف منه على أفعل فعلاء، غيرَ مبني للمفعول، لم يستغن عنه بالمصوغ من غيره، نحو: قال من القائلة، فإنهم لا يقولون ما أقيَلَه استغناء بما أكثر قائلتَه!)).[66]

2.الرتبة: الرتبة بين أجزاء صيغتي التعجب محفوظة،فلا يتقدم على خالفة التعجب المتعجَّب منه، كما لا يتصرف فيها بتقديم ولا تأخير ولا فصل، فلا يقال: عبدَ الله ما أحسنَ، ولا ما عبدَ الله أحسنَ، ولا بزيدٍ أكرمْ؛ ذلك أنّ صيغ التعجب مسكوكة تجري مجرى الأمثال، حيث لا يجوز تغيير صورة المثل عن وضعه الأول، وقد جاز الفصل على خلاف الأصل في المواضع التالية:

الموضع الأول: الفصل بـ(كان) الزائدة: يجوز الفصل بين (ما) وخالفة التعجب بكان الزائدة، نحو: ما كان أعدلَ عمر (رضي الله عنه)! والسبب في زيادة (كان) هو أنّ أفعل التعجب لا أثر للزمن فيه على الأرجح؛ لأنه صار مع التعجب إنشاءً لمجرد التعجب، مسلوب الدلالة على الماضي[67]، فلما دخلت (كان) بقيت محتفظة بدلالتها الزمنية الأولى. وإن قُصِد الاستقبالُ جيء بها بصيغة المضارع (يكون)، أو بنحوها كالظروف الدالة على الاستقبال، أو بما في معناها للنص على التقييد بالزمن الحالي. وإن روم الزمن الماضي جيء بـ(كان) أو(أمسى) للنص على التقييد بالمضيّ. فلا مناص من وجود قرينة دالة على التقييد المقصود، وبغير هذا التقييد تنسلخ الجملة التعجبية من الدلالة الزمنية انسلاخا كلّيًا[68].

فـ(كان) تنقل التعجب –إذن – من اللحظة الحاضرة إلى الماضية، وهوفي هذه الحالة تعجب غير مباشر، يوظف للتعبير عن حالات انصرمت، فهو مختلف تمام الاختلاف عن التعجب المباشر في أنه لا يقوى على حمل العواطف والمشاعر التي يتكفل بحملها التعجب المباشر، فهو تعبير مفرغ من معناه الأصلي. فالتعجب الحق هو ذاك الانفعال الذي يتأجج في النفس في غمرة دهشتها دون تقيّد بالدلالة الماضوية أو الاستقبالية. أما التعجب غير المباشر، فنقل للتعبير عن المتعجِب، حيث يُرْوَى كأيِّ خبر عادي، مفتقدا بذلك حيويته[69].

الموضع الثاني: الفصل بالظرف: يجوز الفصل بين خالفة التعجب والمتعجب منه بالظرف، مثل: ما أثبَتَ لحظةَ الهولِ المؤمنَ![70].

الموضع الثالث: الفصل بالجار والمجرور: يجوز الفصل بين خالفة التعجب والمتعجب منه بالجار والمجرور، ومن ذلك قول العرب: ما أحسنَ بالرجل أن يَصدُقَ، وما أقبحَ به أن يكذب![71].

ويجب الفصل بينهما إذا كان المتعجب منه مشتملا على ضمير يعود على المجرور، نحو: ما أحقَّ بالمريض أن يصبَر![72].

وقد أجاز الجرمي(ت225هـ) من البصريين الفصل بينهما بالحال وبالمصدر، نحو: ما أحسنَ إحسانا زيدا!، ومذهب الجمهور المنع في المسألتين[73].

وإنَّ منهم من أجاز الفصل بالمنادى، ومنه قول علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) لما قُتل عمار بن ياسر: ((أعززْ عليَّ أبا اليقظان أن أراك صريعا مُجَدَّلا))[74].

وأجاز ابن كيسان الفصل بـ(لولا)، نحو: ما أحسن لولا بُخْلُه زيدا.[75]

3–الجمود: خالفتا التعجب لا تدخلان ضمن جدول تصريفي البتة، لجمودهما بعد استخلاصهما لإنشاء التعجب؛ ولأجل ذلك لا يجوز أن يتقدم عليهما المتعجب منه، ولا يصح أن تلحقهما علامات المطابقة العددية أو النوعية. ولكن إذا ما اتصل بآخرهما ضمير بارز عائد على المتعجب منه وجب تطابُقُه مع مرجعه، نحو: الزارعُ ما أنفعَه!، والزارعةُ ما أنفعَها! والجنديانِ ما أشجعَهما! والوالداتُ ما أشفقَهنَّ![76].

4–يجب أن يكون المتعجب منه معرفة، أو نكرة مختصة؛لجني محصول الفائدة المطلوب، وهو التعجب من حال شخص مخصص، فلا جواز أن يقال: ما أحسنَ رجلا! أو أحسنْ برجل، فإن قلت: ما أحسنَ رجلا يفعل الخير!، أو أحسنْ بقائم بالواجب! كان جائزا لحصول الفائدة.[77]ولولا هذا الشرط لكان التعجب– على حد قول عباس حسن– لغوا لا فائدة تحصل منه.[78]

5–يجوز حذف المتعجب منه سواء أكان منصوبا أم مجرورا في إحدى الحالتين:[79]

- أن يكون ضميرا يدل عليه دليل الحذف، وفيه يقول ابن مالك:[80]

وحَذْفَ ما منه تَعَجَّبْتَ استَبِحْ إنْ كان عندَ الحذْفِ معناه يَصِحْ

ونظيره قول علي (كرم الله وجهه):[81]

جَزَى اللهُ عَنّا والجزاءُ بِفضْلِهِ ربيعةَ خيراً، ما أعَفَّ وأكْرَما!

أي: ما أعفَّهم وأكرمَهم!

- أن تكون خالفة التعجب هي (أفعِلْ)، وقد حذف المتعجب منه، وحذف معه حرف الجر، وقبلها خالفة تعجب نظيرة لها، ولها متعجَّب منه مذكور مماثل للمتعجب منه المحذوف مع حرف الجر، نحو قوله عزّ من قائل: (اَسْمِعْ بهمْ وأَبْصِرْ).[82]

6-يجوز حذف الباء الداخلة على المتعجب منه، شريطة أن يكون هذا الأخير مصدرا مؤوّلا[83]، نحو قول الشاعر:[84]

وقالَ نَبيُّ المسلمينَ: تقدَّموا أَحْبِبْ إلينا أنْ تكونَ المُقَدَّما!

هذه -بعامة- أهمُّ الأحكام النحوية التي يمكن أن تساق في سبيل تمحيص ضوابط التعجب القياسي، واستجلاء خصائصه التركيبية.

ثانيا- عبارات التعجب السماعية: هي مطلقةٌ لا تحديدَ لها ولا ضابط، وهي متروكة لمقدرة المتكلم، ومنزلته البلاغية، ولا تفهم إلا بتضافر القرينة[85]، لم يولها النحويون العناية، ولم يسبغوا عليها الاهتمام مع أنها أوسع مجالا من سابقتها، فأشاحوا عنها، وتركوها ممزقة شرَّ مُمَزَّقٍ في كتب اللغويين، لا يجمعها باب، ولا يستقلُّ بها كتاب. وتتخذ لها الصور التالية:

1. **النداء التعجبي:** وقد مزّق النحويون أوصاله في مباحث نحوية عدة، وقد عبر الزركشي(ت784هـ) عنه بعنوان: (وضع النداء موضع التعجب)،[86]والأصل فيه إدخال لام الجر مفتوحة على المتعجب منه، مسبوقة بحرف النداء (يا) نحو: يا للماء! يا للسماء! يا للعجب! يا للهول! وقد تحذف اللام فيجاء بألف في آخر المتعجب منه، نحو: يا عجبا! يا هولا!.

وفارق القيمة بين الصورتين أنّ في الأخيرة مدّا للصوت زيادةً في التعجب ومبالغة فيه، وهذا أكثر ما يكون فيما كان فيه عاطفة قوية دافقة.

والتعجب عن طريق النداء يجري على وجهين:[87]

- أن يرى المتعجِب أمرا عظيما، فيتعجب منه بنداء جنسه نحو: يا للماء! ويا للدواهي! تعجبا من كثرتها.
- أن يرى أمرا يستعظمه، فينادي من له نسبة إليه أومكنة فيه، نحو: يا للعلماء! ونظير ذلك أن تسمع قصيدة تهتز لها فتقول: يا للشعراء!.[88]

وجدير بالذكر أن التعجب بالنداء قياس مطَّرِد[89]، فالاعتداد بقياسيته أجدر من المضيّ إلى سماعيته التي درج عليها النحويون قديما. وإليه ذهب جميل علوش بقوله: ((وبوسعنا أن نستعين بهذه الصيغة للتعجب من كل اسم في الوجود نلمح من الغرابة أومن مخالفة العادة أومن تجاوز ما هو معهود فيه أوالتفوق على ما هو معروف عندما يبهر ويهول))[90] . فحقيق بهذه الصيغة أن تستلحق بالصيغ القياسية لا العبارات السماعية؛ نظرا لكونها لا تحفظ فقط، بل تنقاس أيضا.

2.الاستفهام التعجبي: الاستفهام أسلوب لغوي إنشائي تحدده مناسبات القول أساسه طلب الفهم، ويتحقق بأدوات كثيرة على اختلاف ما يراد فهمه. وقد يخرج عن أصل وضعه؛ ليفيد معانيَ سوى طلب حصول صورة الشيء في الذهن من تنبيه، واستبطاء، وتعجب، وإنكار، وتقرير، ونحوها؛ تبعا لملابسات القول، وما يستتبعها من تلوين الخطاب بقيّم صوتية وإشارية مختلفة لها القدرة على الإفصاح عن المعنى المطلوب، والوظيفة المتوخاة. يقول محمد محمد أبوموسى في هذا الصدد:((ولذلك تجد المتكلم يعمد أحيانا إلى الصوت فيرفعه أو يخفضه أو يوزع علوه وانخفاضه في تقطّعات وتنغيمات معينة يريد بذلك وغيرِه أن يُحَمِّل الأنغام ما أحسَّ أنه تَقَلَّتَ من الكلمات والتراكيب، بل إنك تراه أحيانا يشير بيده إشارات قصيرة هادئة أو طويلة قوية ...)).[91]

فالاستفهام –إذن– قد يخرج من دائرة الطلب إلى دائرة التعجب، فيصير مجرد تركيب يفصح عما يضطرب في النفس من انفعالات وأحاسيس، وهو في ذلك لا ينضبط بقواعد نحوية دقيقة تؤهله لأن يتشرّبَ هذه القيمة التعبيرية الطارئة، بل إن المقام الذي يحيط بالمقال هو الكفيل بتحديد الغرض، وإماطة اللثام عن المعنى الراجح من المعنى المرجوح.

وحريٌّ بالذكر أن جميع أدوات الاستفهام قد تخرج عن أصل وضعها؛ لتفيد معنى التعجب، ومن أضربها قوله تعالى:

- (أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى)[92] وفيه تعجيب للمخاطَب.[93]
- (وهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرابَ)[94]، فقد جاء في (شرح الجلالين) تعليقا على هذه الآية ((معنى الاستفهام هنا التعجب والتشويق لسماع ما بعده)).[95]
- (وأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ما أَصْحابُ اَلْمَيْمَنَةِ وأَصَحابُ الْمَشْأَمَةِ ما أَصْحابُ الْمَشْأَمَةِ[96])، والمراد تعجيب السامعين من شأن الفريقين فخامةً وفظاعة.[97]
- (أَنَّى يُؤْفَكُونَ[98])؛ أي: كيف يُصرفون عن الحق، وهوتعجيب من حالهم.[99]

- (فكَيْفَ كانَ عِقَابِ)[100] وهوتعجيب وتعظيم.[101]

3.التعجب بتعبيرات معينة:

أ–**التعجب بـ(كفى) وما بمعناها:** ويتحقق ذلك إذا ما زيد على مرفوعها الباء، نحوقوله (صلى الله عليه وسلم): ((كفى بالمرءِ إثما أنْ يُحَدِّثَ بكلِّ ما سَمِعَ))[102]، وقوله جلَّ ثناؤه: (كَفىَ بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ)[103].

وتجري مجراها (حسبُ)، نحو: حسبُكَ به رَجُلا! مع جواز حذف الباء ورفع الضمير، وجواز إدخال من في (رجل).[104]

ب–التعجب بـ (أيّ) الكمالية: وذلك في نحوقول القائل: مررت برجل أيَّما رجل!، حيث يؤتى بـ(أيّ) للدلالة على وصف الشيء بالكمال، والتعجب من حاله ((فأيما نعت للرجل في كماله وبذّه غيره)).[4]

ج– التعجب بإدخال (ربّ) على الضمير وتفسيره بالتمييز: نحوقول الشاعر:[105]

رُبَّه فِتْيَةً دعوت إلى ما يُورِثُ المَجْدَ دائِمًا فأَجابُوا

د– التعجب بـ(لله دره): نحو: لله درُّه فارسا!؛ أي: لله لبنُه؛ بمعنى أن الله سقاه لبنا خاصّا، فصار فارسا يُتَعَجَّبُ منه، وقريب منه (لله أبوه!) و(لله أنتَ!).[106]

هـ– التعجب بلام القسم: نحو: لله لا يؤَخَّرُ الأجَلُ ![107] يقول الرضيي: ((قولهم في التعجب يعنون في الأمر العظيم الذي يستحق أن يتعجب منه فلا يقال لله لقد قام زيد بل يستعمل في الأمور العظام)).[108]

و– التعجب بـ (ما هذا بَشَرًا) [109]: قالته النسوة في يوسف (عليه السلام) ((لما استعظمن صورته))[110].

ز– التعجب بـ: بعض المصادر النائبة عن أفعالها: كـ: سُبحانَ اللهِ، ومعاذَ اللهِ، ووَيْلَه، وويحه، وويْسَه، ونحوها.[111]

ح– التعجب بـ (ما أنتِ جارةً): بالنصب على التمييز.[112]

ط– التعجب بـ: (لا إله إلا الله).[113]

ي–التعجب بـ: (واها): نحو: واها له ناهيا.[114]

ك–التعجب بـ (هذا الرجل): وأنت تريد أن ترفع شأنه.[115]

ل–التعجب بـ: (تالله رجلا).[116]

م–**التعجب بمثل: (لا كالعشية زائرا)**: يقول سيويه: ((فلا يكون إلا نصبا من قبل أنّ العشية ليست بالزائر، وإنما أراد: لا أرى كالعشية زائرا، كما تقول: ما رأيت كاليوم رجلا، فكاليوم كقولك في اليوم، لأن الكاف ليست باسم. وفيه معنى التعجب)).[117]

هذا غيض من فيض، وما من سبيل إلى حصر عبارات التعجب السماعية؛ لأن معنى التعجب الذي تتشرّبه يساق إليها من قِبَلِ الاستعمال، بحيث تفرغ العبارة من معناها الأصلي؛ لتتمحّض للدلالة على المعنى التعجبي، وليس يخفى ما للنغمة الصاعدة من أثر في استخلاص العبارةِ لحمل هذا المعنى الانفعالي الذي لا يمكنه أن يؤدى بنغمة ثابتة لا أثرَ للتوتر فيها، فهذا ليس سبيلَ اللغة الانفعالية على الإطلاق، وقد يكون أدخل في سياقات اللغة المنطقية التي تتسم بالهدوء الذي يساعد على ترتيب الفكر وعدم تشويشه.

الهوامش

[1] ينظر: سبب وضع علم العربية، السيوطي، تحقيق: مروان العطية، دار الهجرة–دمشق، ط1، 1988م، ص53.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص42–43.

[3] المصدر نفسه، ص52.

[4] التعجب: صيغه وأبنيته، جميل علوش، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان–الأردن، ط2000،1م، ص14.

[5] المرجع نفسه، ص11.

[6] ينظر: شرح التصريح على التوضيح، خالد الأزهري، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1358هـ،86/1.

[7] ينظر: علم الأدب (مقالات لمشاهير العرب)، شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1887م، 43/1.

[8] محيط المحيط، بطرس البستاني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1987م، ص576.

[9] تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، تحقيق: علي شيتري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان، 1994م، 207/2.

[10] ينظر: لسان العرب، ابن منظور، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1995م، 260/4.

[11] المصدر نفسه.

[12] محيط المحيط، ص576.

[13] المصدر نفسه.

[14] ينظر: النحو المصفى، محمد عيد، مكتبة الشباب المنيرة، القاهرة، 1994م، ص563–564.

[15] شرح الأشموني، تهميش: حسن حمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ 1998م، 262/2.

[16] حاشية على شرح ابن عقيل، محمد الخضري، دار إحياء الكتب العربية، (د.ت)، 38/2.

[17] شرح الكافية، رضي الدين الاسترابادي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1415هـ 1995م، 307/2.

[18] آل عمران/5.

[19] إبراهيم/38.

[20] البقرة/175.

[21] ينظر: حاشية الخضري، 38/2.

[22] الإتقان، جلال الدين السيوطي، تحقيق: فواز أحمد الزمرلي، دار الكتاب العربي، ببيروت لبنان، ط1، 1424هـ 2000م،ص632.

[23] ينظر: حاشية على شرح الأشموني، الصبّان، دار الفكر، بيروت–لبنان، ط1، 1419هـ–1999م، 968/3.

[24] ينظر: (النحو العربي بين التعليم والتخصص)، محمد خان، اللسان العربي، جامعة الدول العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب تنسيق التعريب، ع45، صفر1419هـ–يونيو (حزيران)1998م، ص96.

(25) ينظر: تيسيرات لغوية، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ص30.

(26) ديوان (مجد الإسلام)، أحمد محرّم، تحقيق: محمود أحمد محرم، مكتبة الفلاح، الكويت، ط1، 1402هـ-1982م، ص400.

(27) ينظر: أسرار العربية، أبو البركات الأنباري، تحقيق: فخر صالح قدارة، دار الجيل، بيروت، ط1، 1415هـ 1995م، ص115.

(28) التعجب: صيغه وأبنيته، ص20.

(29) ينظر: المرجع نفسه، ص23.

(30) الكتاب، سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، (د.ت)،72/1.

(31) ينظر: أسرار العربية، ص115.

(32) ينظر: أوضح المسالك، ابن هشام، تحقيق وشرح: محمد محي الدين عبد الحميد، منشورات المكتبة العصرية، بيروت لبنان، (د.ت)، 251/3.

(33) ينظر: المصدر نفسه.

(34) ينظر: الموفي في النحو الكوفي، صدر الدين الكنغراوي الاستانبولي، شرح محمد بهجة البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، ص85-86.

(35) إلاّ أنّ (كان) تزاد كثيرا بين (ما) و(أفعل) التعجب بشرطين: كونها بلفظ الماضي، ووقوعها بين شيئين متلازمين ليسا جارّا ومجرورا. ينظر: شرح الأشموني، 241/1-244.

(36) ينظر: شرح التصريح، خالد الأزهري، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1358هـ، 87/2.

(37) التعجب: صيغه وأبنيته، ص22.

(38) ينظر: الإنصاف، ابن الأنباري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، (د.ت)، 126/1.

(39) ينظر: المصدر نفسه، 129/1.

(40) ينظر: المصدر نفسه، 132/1.

(41) ينظر: المصدر نفسه، 136/1.

(42) ينظر: المصدر نفسه، 126/1 إلى128.

(43) ينظر: 137/1إلى 148.

(44) ينظر: أوضح المسالك، 253/3-255.

(45) ينظر: شرح التصريح، 88/2-89.

(46) ينظر: النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف المصرية، القاهرة، ط9، (د.ت)، 344/3.

(47) ينظر: الموفي في النحو الكوفي، الكنغراوي، شرح: محمد بهجة البيطار، مطبوعات المجمع العلمي، دمشق، (د.ت)، ص131.

(48) ينظر: التعجب: صيغه وأبنيته، ص55-56.

[49] نصّ الأشموني في (شرحه، 447/1) على أنّ ((التحويل إلى فَعُل –بالضم–لقصد المبالغة والتعجب، نحو: ضَرُبَ الرجلُ وفَهُمَ بمعنى: ما أضربَه وما أفهمَه!)). والمشهور عن هذه الصيغة طبيعتها القياسية. ينظر: النحو الوافي، 348/3.

[50] ينظر: شرح التصريح، 89/2. والمشهور عن هذه الصيغة أنها سماعية. ينظر: النحو الوافي، 348/3.

[51] ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1418هـ 1998م، ص114.

[52] ينظر: أقسام الكلام العربي، فاضل مصطفى الساقي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1397هـ 1977م، ص252.

[53] ينظر: القرائن المعنوية في النحو العربي، عبد الجبار توامة، (رسالة دكتوراه مخطوطة)، جامعة الجزائر، معهد الآداب واللغة العربية، 1994–1995م، ص86–87.

[54] المقتضب، المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، (د.ت)، 186/4.

[55] ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1418–1998م، 2069/4.

[56] ينظر: المقتصد في شرح الإيضاح، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: كاظم بحر المرجان، وزارة الثقافة والإعلام العراقية ودار الرشيد، بغداد، 1982م، ، 373/1.

[57] أوضح المسالك، 253/3.

[58] المنطلقات التأسيسية والفنية في النحو العربي، نديم دمشقية، معهد الإنماء العربي، بيروت، (د.ت)، ص163.

[59] التعريب وتنسيقه، محمد المنجي الصيادي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، (د.ت)، ص503.

[60] (النحو العربي بين التعليم والتخصص)، محمد خان، اللسان العربي، جامعة الدول العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب تنسيق التعريب، ع45، صفر 1419هـ–يونيو (حزيران)1998م، ص96.

[61] اللغة العربية معناها ومبناها، ص114. وجدير بالذكر أنّ صاحبة البحث تختلف مع تمام حسان في قوله بعدم دخول خالفة التعجب في جدول إسنادي، فالخوالف –باستثناء خوالف الأصوات– تؤلف مع غيرها تراكيب إسنادية، سواء أكانت للتعجب، أم للمدح والذم، أم للإخالة.

[62] الألفية، ص39.

[63] أوضح المسالك، 286/3.

[64] شرح الأشموني، 299/2.

[65] ينظر: النحو الوافي، 395/3–396.

[66] الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2001م، ص94–95. ولمزيد من التفصيل ينظر: منهج الصواب في علم الإعراب، ابن رحمة الحويزي، تحقيق: عبد الرحمن كريم اللامي، الدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع، ودار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان–الأردن، ط1، 2002م، ص144. وينظر أيضا: النحو الوافي، 349/3 إلى 352.

[67] ينظر: النحو الوافي، 361/3.

[68] ينظر: المرجع نفسه (الهامش).

[69] ينظر: التعجب:صيغه وأبنيته، ص34.

[70] ينظر: النحو المصفى، محمد عيد، مكتبة الشباب، المنيرة القاهرة، 1994م، ص567.

[71] ينظر: أوضح المسالك، 263/3.

[72] ينظر: شرح الأشموني، 273/2. وينظر: النحو الوافي، 359/3.

[73] ينظر: ارتشاف الضرب، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط1، 1418هـ 1998م، 2071/4.

[74] المصدر نفسه. وشرح الأشموني، 273/2.

[75] ينظر: شرح الأشموني، 273/2.

[76] ينظر: النحو الوافي، 357/3.

[77] ينظر: جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، المطبعة العصرية للطباعة والنشر، صيدا–بيروت، 1956م، 68/1.

[78] ينظر: النحو الوافي، 360/3.

[79] ينظر: المرجع نفسه.

[80] الألفية، ص38.

[81] ديوانه، جمع: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ص171.

[82] مريم/38.

[83] ينظر: النحو الوافي، 340/3.

[84] ديوان العباس بن مرداس، جمع وتحقيق: يحيى الجبوري، نشر مديرية الثقافة العامة في وزارة الثقافة والإعلام في الجمهورية العراقية، بغداد، ط1، 1968م، ص106.

[85] ينظر: النحو الوافي، 340/3.

[86] ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، 1391هـ،353/3.

[87] ينظر: شرح التصريح، 181/2.

[88] ينظر: معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان–الأردن، ط1، 1420هـ–2000م، 291/4

[89] ينظر: المرجع نفسه.

[90] التعجب:صيغه وأبنيته، ص81.

[91] دلالات التراكيب دراسة بلاغية، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة عابدين، ط2، 1987م، ص218.

[92] العلق/9–10.

(93) ينظر: معالم التنزيل، أبو محمد البغوي، دار المعرفة، بيروت، 1407هـ-1987م، 508/4.

(94) ص/21.

(95) تفسير الجلالين، دار الحديث، القاهرة، (د.ت)، ص600.

(96) الواقعة/8-9.

(97) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت)،189/8.

(98) المائدة/75. التوبة/30. العنكبوت/61. الزخرف/87. المنافقون/4.

(99) ينظر: إرشاد العقل السليم، 252/8.

(100) الرعد/32. غافر/5.

(101) ينظر: تفسير البيضاوي، تحقيق: عبد القادر عرفات العشا حسونة، دار الفكر، بيروت، 1416هـ-1996م، 84/5. وينظر:الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن الثعالبي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، (د.ت)، 66/4.

(102) سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، (د.ت)، 298/4. وصحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1414هـ-1993م، 213/1. والمستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ-1990م، 195/1.

(103) الرعد/43. الإسراء/96.

(104) ينظر: همع الهوامع، السيوطي، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع، الكويت، 1399هـ 1979م، 63/5.

(4) الكتاب، 422/1.

(105) قائله مجهول، وهو من شواهد شرح الأشموني، 66/2، وهمع الهوامع، 180/4.

(106) ينظر: معاني النحو، 295/4.

(107) ينظر: شرح الكافية، 329/2. وينظر: همع الهوامع، 64/5.

(108) شرح الكافية، 329/2.

(109) يوسف/31.

(110) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، 235/2.

(111) ينظر: التعجب: صيغه وأبنيته، ص134.

(112) ينظر: همع الهوامع، 63/5.

(113) ينظر: المصدر نفسه.

(114) ينظر: المصدر نفسه.

(115) ينظر: المصدر نفسه.

(116) ينظر: الكتاب، 293/2.

(117) ينظر: المصدر نفسه.